Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاريتهم ، ولم يغتفروا لانفسهم انهم كانوا تبعاً للشعراء ذات يوم ، فما عادوا يتركونهم يتصرفون في لفظ ، او معنى ، دون ان يؤدوا فروض الولاء لهم او يقال : انهم اذا كانوا قد ابدوا من الاجلال للشعر القديم ما يسوغ النهل منه فانهم لم يشعروا بشيء من هذا الاجلال للشعر المحدث على نحو يخفف من وصايتهم عليه ، وها هوذا «قدامة» مثلاً يضع للمدح عرفاً ، وللرثاء عرفاً ، وللوصف عرفاً ، وللغزل اعرافاً ، فلا يجوز للشاعر ـ على ما اتفق اهل الالباب ـ ان يمدح بغير العقل ، والشجاعة ، والعدل والعفة ، او ما تعلق بها : (انه لما كانت فضائل الناس ، من حيث انهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ـ على ما عليه اهل الالباب من الاتفاق في ذلك ـ انما هي العقل ، والشجاعة والعدل ، والعفة كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً . . . فقد وجب ان يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال ، لا بغيرها والبالغ في التجويد الى اقصى حدوده ، من استوعبها ، ولم يقتصر على بعضها)[1] ويلاحظ ان الطابع المنطقي الصارم ، هو الذي يغلب على كلام قدامة حيث تتردد الفاظ «اهل الالباب» و«الاصابة» و«الخطأ» و«القياس» و«الاستيعاب» ، وذلك في موضوع شعري يفترض ان يعبر عن مكنون الشعور ، ويلوح ان قدامة ينظر الى الشعر نظرة علمية محضة تظهر منذ تعريفه الشهير للشعر بأنه (كلام موزون مقفى يدل على معنى) ، واذا كان الشعر كلاماً ذا معنى فحسب ، افلا ينبغي على مثل قدامة ان يضع لهذا المعنى قواعد تندرج فيما يراه ذوو الحجى ، ليكون اقرب الى علم المنطق منه الى محاكاة الشعور ؟ ويتساءل المرء عن معنى الشعر اذا سلك كل شاعر سبيل قدامة فيما اثنى عليه من جمع زهير لفضائل المدح في قوله :

اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

(١) نقد الشعر : ص ٥٩